Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجمهور الأعظم، والسواد الأكثر)[1].

(ب) الأسلوب الجدلي.

هذا أثر من آثار الفلسفة اليونانية التي أخذت تنتشر بالشرق منذ عهد المنصور، فقد أصبحت العقول لا تقنع إلا بالدليل، ولا تؤمن إلا عن طريق المنطق: بأقيسته، ومقدماتها ونتائجها. ومن ثم اتسعت ميادين الحوار، واستمر مرير الجدل، في الحق حينا، وفي الباطل حيناً آخر، فإذا اعوزهم الدليل لجأوا إلى التمويه والمغالطة معتمدين في ذلك على قوة اللدد وقوة الأداء وهذه مقدرة لا يقوى عليها إلا أفذاذ الكتاب من أمثال سهل بن هرون، . . . ألا تراه يخالف مألوف البشر فيحبر رسالة في تفضيل الزجاج على الذهب، وأخرى في مدح البخل وذم الكرم. وهو في هذه وتلك يحلل ويعلل ويشفع القول بالدليل. . .

إستمع إليه في رسالة إلى بني عمه حين ذموا مذهبه في البخل. . يقول:

«وعبتموني حين قلت: لا يغترن أحدكم بطول عمره، وتقوس ظهره، ورقة عظمه، ووهن قوته. وأن يرى نحوه أكثر ذريته، فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يديه، وتحويله إلى ملك غيره، وإلى تحكيم السرف فيه، وتسلبط الشهوات عليه، فلعله أن يكون معمراً وهو لا يدري، ومحدوداً له في السن وهو لا يشعر ولعله أن يرزق الولد على اليأس؛ أو يحدث عليه بعض مخبآت الدهور مما لا يخطر على البال، ولا تدركه العقول؛ فيسترده ممن لا يرده، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه أضعف ما كان عن الطلب وأقبح ما يكون به الكسب. فعبتموني بذلك، وقد قال عمرو بن العاص «اعمل لدنياك عمل من يعيش أبداً، واعمل لآخرتك عمل من يموت غدا».

وعبتموني حين زعمت أن السرف والتبذير إلى مال القمار، ومال الميراث، وإلى مال الالتقاط، وحباء الملوك أسرع. . وأن الحفظ إلى المال المكتسب، والغنى المجتلب، أسرع. وإن من لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دخله، ومن

---

(١) البيان والتبيين جـ ١/٨٩